فولتير.....
وارهاصات التنوير

عندما تقف عند أسماء بعض المشاهير عالمياً تتبدى لك نعوت لهم.. اشتهروا بها وخلدتهم على الرغم من أنها ليست هي أسماءهم الحقيقية. فـ (شكسبير) مثلاً (والذي أوجد كلمة الدولار قبل وجود الدولار كعملة) اسمه الحقيقي (وليم أردن) و(نيوتن اسمه إسحاق آسكاف) و(نابليون بونابرت = نابليون رامولينو) و(فرويد = سيغموند ناتانسن). (إينشتاين = تشارلي هيل) (دارون = تشارلز ودجودو) (أديسون = توماس إلفا ايلوت)[لخ] (موليير = جان بابتست بوكلين) (كاليغولا[1] = غايوس قصير جيرما نيكوس) (جان كيزخان/ وتعني/ السيد المطلق/= تيموجين) (ستالين = جوزيف فيزار يوفيتش زوغاشفيللي) وهكذا.. ومن الشهيرات من استبدلت اسمها

---

(1) قيل: إن هؤلاء جمعياً قد استبدلوا نسب أبائهم بنسب أمهاتهم.

(2) (كاليغولا- الجندي الصغير) وقد تمنى هذا القيصر أن يكون لشعبه رقبة واحدة حتى يقطعها بضربة سيف واحدة وكان يطرح شعار (دعه يشعر أنه يموت) لكل من يريد أن يعذبه أو يقتص منه ومن شدة جنونه نصب حصانه قنصلاً له.

obeikandl.com

الأنثوي باسم ذكوري متمردة على وضع المرأة آنذاك ومتحدية بذلك حتى الرجل نفسه. فلبست لباسه وماثلته في تصرفاته بل حاولت أن تضاهيه. وكانت خشونتها بمثابة سكين تحز مشاعر عشيقها المرهف الحساسية (الفريد دي موسيه) الذي كثيرا ما حاول أن يعيدها أنثى فما استطاع. ألا وهي (أورور ديبان) المعروفة في الأوساط الأدبية بـ (جورج صاند). أو (ماري آن إيفانس) التي كتبت باسم رجل لأن معاصريها كانوا يعتقدون أن المرآة لا تستطيع الإ تيان بعمل عملاق كالرجل.

فسمت نفسها (جورج اليوت). حتى أن بعضهم قد غلب عليه لقبه كـ (أرسطوقليس) مثلاً. حيث أطلق عليه مدربه لعرض في منكبيه لقب (بلاطون = أفلاطون) فلبسه اللقب حياً وميتاً. كما نجد في العربية بعض المشاهير قد عرفوا بألقابهم أكثر من أسمائهم كـ (الأخطل الصغير = بشارة الخوري) (وبنت الشاطىء = عائشة عبد الرحمن) و(محيي الدين بن عربي = أبو بكر محمد بن علي) الخ.....

و(فولتير) موضوع محاضرتنا لهذا اليوم عرف أيضاً بلقبه. إذ أن فولتير كلمة تعني قطعة أرض صغيرة كانت تملكها أمه[1] فأطلق عليه هذا اللقب تحبباً حتى طغى على اسمه الحقيقي وظل اللقب يحاصر اسمه ويخفيه في غياهب الصفحات ولا يعرف أحد أن اسم ((فوليتر)) الحقيقي هو: (فرانسوا ماري أوريه) إلا بعد أن يتخذ من البحث والتقصي منهجاً وسبيلاً.

ولد فولتير عام /1694/ وتوفي عام/1778/ وكان منذ ولادته ضعيف البنية مما اضطر أهله إلى أن يتأخروا في عماده.وظل يشكو من اعتلال في صحته إلا أنه كان طبيب نفسه لا ينصاع لنصائح الأطباء وذلك من خلال الطب الوقائي لا العلاجي الذي فرضه على نفسه، ورغم ذلك فقد كان ديناميا دائم الحركة والتحرك فاعلاً ومنفعلاً.

ومما يدلُ على سرعة حركته وتحركه ـ وهما بالتالي صدى لداخله الموّار ـ أنه عندما كان يقدم مسرحية (بيرون) أراد ان يبث السرعة في إحدى الممثلات فأدى لها الدور على النحو الذي يريد فقالت له الممثلة منفعلة مشاكسه: لكي أمثل الدور

---

(1) يقول (ول ديورانت) إنها كانت أي الأرض ـ لابن عمه.. أنظر جزء 35 -36 ص/55/.

على النحو الذي تريد، يجب أن يتلبسني الشيطان. إلا أنه كان كريماً.. وكثيراً ما تنازل عن عائدات مسرحيته للممثلين... وإذا أضاع مالاً أو شيئاً ثميناً لا يحزنه الأمر كثيراً بل يكتفي بالقول: (أعطانا الله وأخذ الله... تقدس اسم الله). ومهما اختلف الدارسون في شأن (فولتير) إلا أنهم متفقون جميعاً بأنه كان عصبي المزاج يملك طبعاً حاداً أفقده الاعتدال والوسطية في سائر أموره. إذا استلطف أحداً أو أعجب بإنسان ما.. أحبه حتى حدود العمى وبذل في سبيله أغلى ما لديه، وإذا كره أحداً أو تصدى له أحدهم ـ وهو من الذين لا يحبون أن ينتقدهم أحد ـ حاربه بكل ما أوتي من قوة بلا شفقة ولا رأفة. فهو القائل عن نفسه (إني مولود للعراك)[1]. لذلك قال عنه "غريم": (إني لا أرى هذا الرجل العظيم ينحط إلى أقل من مستواه إلا حين يعميه الهوى). إلا أنه كان قوي الإرادة إذا صمم على بلوغ هدف ما.. سار فيه حتى الشوط الأخير. ولما حاول والده أن يدخله سلك القضاء ويبعده عن جو الأدب الذي تعشقه إذ قال له والده: (يابني الأدب جواز مرور نحو الفقر والعوز). لم تثنه نصائح والده عن تحقيق مراده، بل سار في السبيل الذي رسمه لنفسه آملا أن يكون مثل (كورناي) و(راسين) وغيرهما. وظل يسير ثابت الخطأ حتى استطاع بإمكاناته أن يتبوأ مقعداً بارزاً في سدة التاريخ.

سجن لسلاطة لسانه أكثر من مرة، ولحسن حظه أن المسجونين في (الباستيل) لم يكونوا محرومين مما يشغلهم أو يسليهم، فكان لدى (فوليتر) (ورق وحبر وقلم وفراغ) مضافاً إلى ذلك ملكاته وإمكاناته ـ أو كما يقول (ول ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) ـ كان يكتب على الكتب المطبوعة بين السطور فوضع في السجن مسودة لأثرين هامين في حياته مسودة (أوديب) متحدياً بذلك (كورناي) و(سفوكليس) أيضاً... موضوعها يتحدث عن (سفاح المحارم). ومسودة أسماها (المعاهدة) ثم غير اسمها إلى (الهنريادة) حيث صرح أحد النقاد الفرنسيين بأنها تسمو على (الإلياذة والإنياذة). وبعد خروجه من السجن عُرِضَتْ مسرحيّتهُ (أوديب) ونجحت نجاحاً عظيماً وصار جل الناس يرددون بيتين من المسرحية وهما: كهنتكم ـ ليسوا

---

(1) يقول (دانتي) في (كوميدياه الإلهية) (الإنسان ينال شرفاً عظيماً إذا انتقم).

كما تظنون ـ إنهم جهلة. وسذاجتنا هي التي صنعت علمهم كله. سجن بعدها ثانية. وكتب إلى السلطات عارضاً عليها أن ينفي نفسه إلى إنكلترا إذا أفرج عنه.

فأفرج عنه وهاجر إلى إنكلترا عام/1726/ وأقام فيها إقامة جبرية. فأتقن اللغة الإنكليزية وقرأ مؤلفات ((شكسبير)) فدهش من قوتة وقلة ذوقه. ثم قلّدة في الكتابة المسرحية بما يتلاءم والذوق الفرنسي. وبعد فترة عاد إلى فرنسا متخفيا قبل أن ينضوي تحت لواء المركيزة (دي شاتليه) كخليلة ومعجبة في آن واحد.

دعاه (فريدريك الثاني) ملك بروسيا عام/1736/ يوم كان ولياً للعهد إلى (ألمانيا) فلبى الدعوة متحمساً واستقبل في (برلين) استقبالاً رائعاً إلا أن هذا الحماس لم يدم طويلاً فكتب إلى ابنة أخته/ مدام دني/ قائلاً لها: (كل ما أفكر فيه هو الهرب بشرف). ونستطيع أن نستشف سبب هروبه (من الكلمات التي أرسلها أليها) وكأنه يقدم لنا ـ من خلالها ـ نظرية أو علاقة من علاقات المثقف بالسلطة التي تعامل المثقف كالبرتقالة حسب رأيه تمتص عصيرها وترمي بقشورها إذ قال لها: (سأكتب قاموساً صغيراً يستعمله الملوك فـ (يا صديقي.. تعنى عندهم يا عبدي). و(يا صديقي العزيز).. وتعني عندهم.. (لا أبالي بك مطلقاً) و(سأسعدك).. تعنى عندهم.. (سأتحملك طالما احتجت إليك) و(تناول معي الليلة العشاء).. وتعنى عندهم. (سأتناولك الليلة بالسخرية). وقد يصبح هذا القاموس كبيراً وهو مادة يجب أن تندرج في (الانسكلوبيديا).

وبعد عودته إلى فرنسا عام/1778/ قرر مسرح (الكوميدي فرانسيز) أن يمثل أخر مأساة كتبها (فولتير) أسماها (إريني) فأصر الجميع على حضوره إلى باريس ليشهد عرض مسرحيته فحضر ونزل ضيفاً على المركيز (دي فيليت) واستقبلته الجماهير بحماس منقطع النظير وحلت خيول عربته وجرتها بدل الخيول حتى المسرح ضمن هتاف وتصفيق أشعلا فيه نشوة عارمة وصاح في الناس ((أتريدونني أن أموت من الفرح)).

وعندما مرض مرضاً شديداً رفض الأب ((جوتيه)) زيارته إلا إذا اعترف بمبادىء (الكاثوليكية) فرفض وقال: (إني أموت عبداً لله.. محباً لأصدقائي ـ غير كاره

لأعدائي). وظل مصراً على موقفه حتى وفاته إذ عندما أحضروا له كاهناً ليبارك روحه وهو يحتضر سأله الفيلسوف بصعوبة بالغة: من أين جئت أيها الأب ؟. قال الأب: من عند الله نفسه. رد عليه (فوليتر) قائلاً: أين أوراق اعتمادك؟. وعندما توفي رفض (الأكليروس) الباريسي دفنه حسب الطقوس المسيحية. فدفنه الأب ((دي سيلييز)) في ديره ثم حملت ـ رفاته عام/1791/ ـ إلى (البانتيون ـ مقبرة العظماء) ووسدت بجانب (جان جاك روسو) صديقه القديم الذي أصبح فيما بعد عدوه اللدود.

عصر التنوير

إذا كانت الفلسفة تحولاً من (الميثوس) إلى (اللوغوس).. فإن التنوير انتقال من الظلمات إلى النور أو من القديم إلى الجديد. والصراع بين القديم والجديد كان، ولا يزال.. وسيبقى منذ الأزل وإلى الأبد.

(فجديد الأمس هو قديم اليوم) و(جديد اليوم هو قديم الغد) وستبقى تلك السيرورة سيالة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ولئن طرح ــ قديماً ــ فرعون (ابسماتيك) شعار (عودوا إلى القدماء) ظناً منه بأن مصر لن تعود إلى سالف عهدها المضيء إلا إذا نهلت من معين السلف، فإن (باراكيلسوس) رفض هذا الشعار وما يماثله قائلاً: (أنا فوق القدماء وهم لا يعرفون أكثر منا).

إلا أن سائر المحاولات التي اتخذت من التجديد منهجاً رافضة كل ماض، لم يطلق عليها اسم التنوير، وإنما أطلقت تسمية (حركة التنوير) أو (فلسفة الأنوار) على الحركة التي ظهرت في أوربا في القرن الثامن عشر وتحديداً منذ/1671/ وحتى/1800/ في كل من فرنسا وألمانيا ثم انتشرت في سائر أوربا بالتدريج.

وأهم ما يميز هذه الحركة: أنها تيار فكري عقلاني قام بمواجهة السلطتين الكنسية والسياسية معاً إذ ارتبطت بهذه الحركة جملة أحداث سياسية وتقنية واقتصادية وفكرية، فكانت إرهاصاً للحدث الأكبر الذي هز أوربا برمتها ألا وهو الثورة الفرنسية عام /1789/ والتي طرحت شعار (حرية، إخاء، مساواة) وألغت شعار (يحيا الملك) وأحلّت محلّه شعار (تحيا الأمة).

وكانت فلسفة التنوير خروجاً عن التراث والتقاليد باسم العقل الذي جعلت منه سيد كل شيء، حيث (حل العقل مكان النقل) وساد (التعريف بدل العرف) وحل (التجريب محل المسلم به سلفاً). فحققت الثورة التنويرية عن طريق ذلك قطيعة (ابستمولوجية = معرفية) مع الماضي الأوربي مقتبسة بعض رموزها لتوظيفها توظيفاً جديداً خرجت به عن سياقه الماضوي، فسلبت الكنيسة سلطتها على الدنيا باسم الدين..

وعلى الأرض باسم السماء(لخ). وما فولتير إلا مدماك من أهم المداميك التي بُنِيَ فوقها صرحُ فلسفة التنوير.

فولتير وفلسفتة من منظور النقاد

في داخل فوليتر يتصارع ضدان:

الأول: ينبيك بأن الحياة عرض زائل لا تساوي شيئاً كونها عبوراً من الممر إلى المستقر، وذلك من خلال ما كتبه إلى مدام /ديوديفان/ قائلاً لها: (إني أقضي وقتي في النطنطة على حافة قبري وهذا لعمري ما يفعله البشر جمعياً). أو من خلال ما قاله في مسرحية (كانديد) ـ والتي يصور فيها آلام البشر (لا شيء في الحياة جدير بكفاحنا وجهودنا، وإن ما فيها من خيرات ليس إلا متاع الغرور). أو من خلال قوله (سنرث العالم كما وجدناه في سخافته وشره وفساده)./1/

والثاني: ينبيك بأن الحياة جديرة بأن تعاش في بهجة وسرور حيث يظهر في هذا الجانب وكأنه صدى (لأبيقور) صاحب مبدأ (اللذة) حين قال/فولتير/: (الإنسان خلق ليلهو شريطة أن لا يؤذي أحداً). أو تراه صدى (لسيدوري) حارسة(الحانة) في ملحمة(جلجامش). **حين قالت له**: (يا جلجامش..أملء كرشك وافرح في ليلك

---

(1) تحدد القرون الوسطى من/476/حتى/1453/إي منذ سقوط الدولة الرومانية الغربية على يد (الجرمان)حتى سقوط الدولة الرومانية الشرقية على يد الأتراك، إلا أن القرون الوسطى غير القرون المظلمة حيث تطلق تسمية القرون المظلمة على الخمسمئة سنة الأولى أي من/476/ ولغاية/976/ وحدد مصطلح النهضة العربية بين الأعوام/1875/و/1952/.

obeikandi.com

ونهارك). ويقول (فولتير): (الضحك من كل ما يستحق الضحك هو هدف بحد ذاته). وقال أيضا: (انني أضحك لأتقي الجنون). كما قال: (التقشف نوع من المرض ـ وليس من صالح المرء تعذيب نفسه ـ ومن الجنون الاعتقاد بأن الله يطالبنا بذلك).

وأما فلسفته فيصفها (اندريه كريسون) في كتابه (فولتير)/2/ بأنها ليست أصيلة ولا مبتكرة لأنها بنيت على عجل وعلى أسس غير متينة، مستعيراً أفكارها من أسلافه ومعاصريه. وعدّه (يوسف كرم) في كتابه (تاريخ الفلسفة) من أنصار الفلسفة الطبيعية والمذهب التجريبي./3/ إلا أن كتاب (ألف شخصية عظيمة) /4/ قد نعته بأنه ملك الهجاء وفيلسوف وتاريخي وداهية. كما اعتبره الناس الذين عاصروه أعظم شاعر حي في فرنسا. إلا أن (ول ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) قد نسب عصره كله إليه فلم يقل (العصر الذي عاش به فولتير) بل قال: (عصر فولتير). ونعته د. (حسن حنفي) في كتابه (في الفكر الغربي) /5/ بأنه أعظم الفلاسفة على الإطلاق ومن أوسعهم أثراً ولا يعدله في عظمته وأثره إلا (هيغل). وقال (غريم): (إذا كان التفكير الفلسفي قد انتشر وَعَمّ في عصرنا هذا أكثر من أي عصر آخر، فإننا مدينون بذلك إلى فولتير). رغم أنه اعترف بلسانه حاله قائلاً: (إن الفلسفة لم تكن شغله الوحيد والأساس). وأما أسلوبه فكان أسلوباً عادياً بلغة عادية بعيدة عن الفلسفة الأكاديمية بمصطلحاتها ومفاهيمها ونظرياتها.

ولعل (القاموس الفلسفي) من أهم أعماله التاريخية والأدبية والفلسفية التي تقارب (سبعين مؤلفاً). ويعتبر هذا القاموس قمة ما توصل إليه (عصر التنوير) من تقدم حضاري وفكري.

جولة بانورامية في فلسفة فولتير

نظام الحكم عنده: رغم أن فولتير يحبذ النظام الجمهوري الذي يقوم على الديمقراطية إلا أنه لا يعير أهمية لشكل نظام الحكم (ملكياً كان أم أرستقراطيا أم ديموقراطياً).

المهم عنده ـ أن على الدولة أيا كان نظامها ـ أن تدير البلاد في سبيل خدمة مواطنيها وفقا للمبادىء التي تؤمن لهم الطمأنينة والأمن الخارجي. والدولة الناجحة هي التي تؤمن لمواطنيها سلامتهم بأقل نفقة.

موقفه من الحرب: إذا رأى (نيتشه) أن الدولة هدفها الحرب ثم الحرب كرة أخرى، وأن خير السلام ما قصرت مدته، فإن (فولتير) كان على النقيض من ذلك. إذ عد الحرب شيئاً معادياً ومريعاً. يقول: (وهؤلاء اللصوص الذين يسمون فاتحين.. ما أكرههم.. ومن الواجب أن يتسلح الناس ضدهم وأن يستعدوا لمقاومتهم).

موقفه من الحضارة: لئن اعتقد (ديوجين) بوجوب عودتنا إلى البساطة الأولى لنعيش مع الحيوانات المسالمة الأليفة، فإن (فولتير) قد آثر الحضارة وعدها كنزاً ثميناً. ولا ينصح أحداً بالتخلي عنها لأنها قفزة نوعية نحو غد أفضل، وعلينا أن لا نستبدل بها البساطة الأولى ولو دفعنا ضريبتها غالياً.

مبدأ المساواة: لم يكن فولتير مؤمناً بمبدأ المساواة بين الناس والأفراد.. ولو آمن أفلاطون بالإختلافات بين الناس وبين الأجناس والأمم أيضاً/6/. والمساواة عنده لا وجود لها على أرض الواقع.[لخ] والذين يطالبون بها يعيشون في أوهام خطيرة. يقول: (لقد قال أحد الفلاسفة: إن العقول متساوية. ويجيب: لكن عكس ذلك أمر معروف منذ القدم. ويذكر المثال التالي: إذا أخذنا أربعمئة طفل يربون على يد المعلمين ذاتهم، ويتلقون العلم ذاته، لم نجد سوى خمسة أو ستة أطفال ينالون تقدماً محسوساً). ويعقب قائلاً: (لا القوى الجسمانية، ولا الذكاء، ولا المعرفة، ولا

---

(1) أنظر (بروتوكولات حكماء صهيون) وقول (دانتي) في (الكوميديا) هناك من ولد ليكن مشرعاً أو جندياً أو كاهناً.

المشاعر الأخلاقية مقسمة بالتساوي. وإذا كانت وجوه البشر مختلفة فإن العقول أكثر منها اختلافاً/7/.

حق الملكية: يقول فولتير (كيف يضبط المرء نفسه حين يقرأ جملة جان جاك روسوالتي تقول: اذكروا أن الثمار هي للناس جميعاً، وأن الأرض ليست لأحد. وهذا تأكيد لمبدأ يهدم أهم حق في حياة الإنسان وهو حق الملكية).إن على الجميع احترام ملكية الفرد وحريته لأن روح الملكية ـ كما يقول ـ تضاعف قوة الإنسان، ويعتبرها مفيدة(للراعي والرعية) في جميع الأوقات، والشك قي قيمتها الأخلاقية كما فعل (جان جاك روسو) عمل وحشي همجي.

إن لكل امرء الحق في أن يملك.. وأن يورث ما يملك بالطرق المشروعة.وعلى كل انسان أن يسعى لتحقيق رفاهيته التي لا تكون شراً إلا حين يظلم إخوانه. كما اعتبر أن الحرية أعظم النعم إطلاقاً. لذا.. يجب أن يمنح الإنسان حرية العمل. والتفكير.. والتعبير عن رأيه شريطة أن لا يكون مخرباً هداماً/8/.

التعليم: عظم (فوليتر) العلم.إلا أن العلم برأيه لا يكون من حق الناس جميعاً. فقد كتب إلى صديقه قائلاً: (أرى أنه من اللازم أن يكون في العالم رعاع جهلة ولو كان عندك مثلي أرض تستثمرها، وكان عندك مثلي محاريث، إذاً لكنت من رأيي.

من خلال ما تقدم نرى أن (فولتير) كان واحداً من الطبقة الارستقراطية أو البرجوازية تنظيراً وممارسة، اكتساباً وانتساباً. لإيمانه بضرورة وجود التفاوت الطبقي بين الأفراد على الصعد كافة. ولست أدري لم.. لم يكن (فولتير) في هذا المجال صدى (لأفلاطون) الذي رأى في (جمهوريته الفاضلة) أن النظام الأرستقراطي هو أفضل أنواع الحكم وأن النظام الديموقراطي هو أسوأ أنواع الحكم. ولا يزيده سوءاً إلا النظام الاستبدادي الذي وصفه (اللورد أكتن) بقوله (السلطة المطلقة... مفسدة مطلقة). لكننا نلحظ شيئاً هاماً هو أن(فولتير) كان يركز دائماً على عدم إيذاء الغير في حال ممارسة المرء عملاً ما.. لأنه كان من المؤمنين بضرورة سيادة العدالة والخير تحقيقاً لإنسانية الإنسان ليبقى المجتمع سليماً معافى. والعدالة والخير في رأيه **وسيلتان لتحقيق غاية أسمى ألا وهي:**

راحة النفس والضمير في حال ممارستهما، وعذابه في حال غيابهما يقول: (علينا أن لا نزعم أن ممارسة العدالة تكفي لتأمين السعادة، ولكنْ ثمة شيء صحيح هو أن (المجرم) ينزل به عقاب الندم الذي لا يبرحه أبداً. وكذلك (الرجل الفاضل) يجد جزاءه في الشعور الباطني بأنه أدى واجبه، وفي طمأنينة القلب وهتاف الجماهير.. وصداقة الناس الطيبين.. ويقول أيضاً: (أريد أن أفعل الخير لنفسي، وأفعله أيضاً لإرضاء الموجود الأعظم). يقول سقراط في هذا الصدد/: أنا لا افعل الخير لأنه من عند الله بل افعل الخير لأن الخير هو الله نفسه.

أصل البشر: يرى (فولتير) أن البشر لا ينحدرون من أرومة واحدة. وأن ثمت أجناساً مختلفة من البشر كأجناس الطيور، وأن (البشر يشبهون الشجر) (فالشوح والسنديان والتفاح والمشمش) ..الخ لم يأت كل ذلك من شجرة واحدة وكذلك (الأبيض والأسود والأصفر) (لا ينحدرون من إنسان واحد) وهذه الأجناس قد تولدت في مناطق مختلفة... ومن العبث ان نجعل البيض ينحدرون من الهنود الحمر والصينيين ينحدرون من المصرين.

كما نقد (فولتير) (بيندام) الذي اعتقد بتشكل حيوانات صغيرة في ماء نقعت به حبات قمح. وأن ليس بالإمكان أيضا صنع السمك من حبات القمح لأن (فولتير) يؤمن بخصوصية أصول الأجناس، ليس هناك شيء فطري أبداً.فالله خلقنا.. ولدينا أعضاء تنمو.. وبنموها نحس كل ما يتوجب على جنسنا أن يحسه للمحافظة على نفسه.

موقفه من ديكارت:

أعلن (فولتير) صراحةً عن كرهه لـ (جان جاك روسو) وأنه لا يحب آثاره ولا شخصه، ووصفه بالصبي المجنون، وأن كل ما جاء به كان بمثابة سخافات ما عدا خمسين صفحة. إلا أنه اعترف لـ (ديكارت) بلمحات عبقرية لأنه من الأوائل الذين استنفروا العقول إلى التفكير، وأن الرياضيات مدينة له بخطوات رائعة. لكنه في ما تبقى لا يعدو أن يكون مؤلف روايات. وسأرود بعضاً من الأخطاء التي وجهها إليه....

1. **رفض ديكارت للفراغ:** لقد اقترف (ديكارت) خطأ لا يغتفر ـ في نظر فولتير ـ حين أسند إلى الضوء (الانتشار الآني ـ أي بدون حاجة إلى زمن) فكان (فولتير) في

هذا الشأن مع (نيوتن)الذي أعجب به أيما إعجاب يوم كان منفياً في إنكلترا. لأنه بنى علومه على أساس التجربة، وأنه من أتباع الحقيقة إذ لاحظ (نيوتن) أن النور يأخذ وقتاً في الانتشار من مكان إلى آخر، وبالتالي فقد كشف عن (سرعة الضوء). كما اكتشف كيف يتجزأ النور الأبيض حين يمر بموشور فجاء بنظرية (جوهر النور)، في حين أن ديكارت كان جاهلاً لها.

2 ـ **رفض (فولتير) نظرية (ديكارت)**[خ] فيما يخص الحيوانات حيث جعلها آلات لا شعور لها ولا أفكار ولا أحاسيس من خلال قوله: (إن الحيوانات آلات صرف تسعى للأكل بغير شهية، وتملك أعضاء الإحساس من غير أن تحس بشيء ، وتصرخ بدون ألم، وتعبر عن سروها بغير فرح، وتملك دماغاً لا تتلقى أية فكرة مهما كانت ضئيلة). وعد فولتير موقف ديكارت هذا هو السخف بعينه. ومن الجنون أن نجعل الحيوانات آلات لا تحس. يقول (فولتير): (من الجنون أن نجعل الكلب أو العصفور كالساعات التي لا تحس. إن لدى الحيوانات أفكاراً مثلما لدينا فكلب الصيد مثلاً لديه فكرة صاحبه، وفكرة الطريدة.. ولديه ذاكرة أيضاً). ثم قال: (أنا أراهن أن الدجاج يفكر ويعقل ويبني نظاماً فلسفياً أساسه أقفاصه) وذلك طبقاً لمداركه.[بر]

تأثره بكتاب ألف ليلة وليلة: بعد أن ترجم (أنطوان جالان) لأول مرة ـ في تاريخ أوربا الأدبي (كتاب ألف ليلة وليلة) إلى الفرنسية باسم (ليالي شهرزاد) بدأ يظهر أثره في الأعمال الفرنسية الكبرى بشكل لا يقل أهمية عن ملاحم اليونان واللاتين كما يقول: د. (شريف عبد الواحد). وحري(بفولتير) أن يتأثر بها في قصصه الفلسفية حيث عني بكتابة القصة في الخمسين من عمره. وذلك بعد أن قرأ (ألف ليلة وليلة) أكثر من (أربع عشرة مرة)، فشاقته وراقته وغرق في دراستها إلى أذنيه

---

(1) أطلق (ديكارت) (الكوجيتو) (أنا أفكر إذاً أناموجود) والتي صارت قاعدة لكثير من رجال الفكر تبنوها من بعده مع تغير كلمة (أفكر) فقط، فقال بعضهم (أنا أتثقف إذاً أنا موجود) (أنا أحارب إذاً أنا موجود) وهكذا.....

(2) يذكرنا ذلك بقول الشاعر الفيلسوف (المعري).

أرى حيـــوان الأرض يرهـــب حتفـــه ويفزعـــه رعـــد ويطمعـــه بـــرق /11/

كما يقول د.(طه حسين). ولقد اعترف (فولتير) بأن (ألف ليلة وليلة) قد أثرت به أشد الأثر فقال: (لم أصبح قاصاً إلا بعد أن قرأت ألف ليلة وليلة.. وكم كنت أتمنى أن أفقد ذاكرتي... لأستعيد حلاوة القراءة الأولى.)

موقفه من الشرق:

(إني مدين لهذا الشرق العظيم). هذا ما قاله (فولتير). لذا فإن سائر أعماله الأدبية جاءت خالية من التشويهات المتوارثة عن حقد الغرب على الشرق والطعن بكل ما يصدر عنه وما ينسب إليه ويتعلق به.إذ أشاد (فولتير) بنبل الفارس العربي وكرمه وحبه العفيف. ودافع عن المسلمين الذين ظلمهم التاريخ المسيحي. إذ أبرز وجه الإسلام المشرق والدور المشرف الذي قام به (محمد) ص على الصعيد العالمي يقول: ((إن أقل ما يقال عن محمد (ص) إنه جاء بكتاب وجاهد)). ولقد تعرّف على الشرق من خلال ما قرأه عنه لا من خلال زيارة له. وأهم المصادر التي عرف من خلالها الشرق هو (القرآن الكريم).

موقفه من اليهود: كان (فولتير) يكره اليهود كراهة التحريم. ولم يَبْنِ هذا الكره على أساس ديني أو عرقي، بل نبع قرفه من خلال الممارسات الدنية التي تنسب إلى من ينتمون إلى هذه الديانة، من ظلمهم للناس واستلاب لحقوقهم وإثارتهم للفتن. ويظهر أن موقف أوربا برمتها من اليهود ـ وبخاصة إنكلترا وفرنسا حينها ـ لا يختلف عن موقف (فولتير). حيث نجد في مسرحية (يهودي مالطة) لـ (كريستوفر مارلو) أن المؤلف يعطينا فكرة عن اليهودي الوضيع من خلال شخصية (بارارياس)[1]. وكلنا يعرف شخصية الوضيع (شايلوك) في مسرحية (تاجر البندقية) لـ (شكسبير) ويدلنا ذلك على أن الكتّاب والشعب بعامة، بالاستغناء عن السياسة المصلحية التي قال عنها (تشرشل): (لا توجد في السياسية صداقة او عداوة دائمة وإنما هناك مصالح مشتركة) ـ كانوا كارهين لليهود الذين ما دخلوا بلداً إلا أفسدوها.

---

(1) لقد قمت بإعداد وإخراج هذه المسرحية كما قمت بدور البطولة فيها أي دور (باراباس) في إحدى المهرجانات المسرحية.

موقفه من الأساطير:

يقول (فولتير) (حين نقرأ التاريخ... لنكن حذرين من الأساطير). ورأى أن معظم العقائد في الأديان.. من معا رج إلى السماء... وما يشاكلها ضمن نطاق الأساطير. لأن العقل يقف أمامها شاكاً شكاً منهجياً (لا شبطيقياً = الشك من أجل الشك) وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الأديان. فرفض المعجزات برمتها وتحدث عن نوعين من القوانين (طبيعية) و(سياسية مدنية محضة).

فالطبيعية: بمثابة (ثوابت) كونها مشتركة ونافعة للمجتمع، وقد حثت عليها سائر الكتب السماوية لأنها هي هي في كل زمان ومكان مثل (لا تقتل.. لا تسرق...) الخ...

أما السياسية المدنية المحضة: فهي (متغيرات) وبالتالي يجب تعديلها لأننا نعيش في زمن المواطنين لا في زمن الرسل. والقضية قضيتهم ولذا على القوانين أن تتناسب مع واقعهم وتطلعاتهم. والقوانين الطبيعة تنضوي تحت لواء (الثوابت)، كما أسلفنا لأنها من عند الله، أما القوانين السياسية المدنية المحضة فتنضوي تحت لواء (المتغيرات)لأنها من عنديات البشر. ولقد أرجع فولتير مقولة (الله خلق الإنسان على صورته ومثاله) أرجعها إلى الإنسان نفسه أي (أن الإنسان قد تخيل الله على صورته). وهذا يذكرنا بقول (كسينوفانيس) وفحواه (إن كل مخلوق يتخيل إلهه حسب مداركه وسموها).

موقفه من بعض الشخصيات التي تعتبر بمثابة محطات عالمية:

1. **شخصية آدم**: إن آدم الذي خلقت من ضلعه حواء هو مخلوق (خنثوي) لأن الذكر الذي يلد لا بد أن يكون كذلك[لخ]. لقد اعتبر فولتير أن (أفلاطون) رمز للإنسان الذي اجتمعت فيه الذكورة والأثونة معاً/10/. كما ورأى أن (الإنسان الخنثوي) ليس بجديد. فلقد تصور الهنود من قبل مثيلاً (لآدم) قالوا عنه (آديمو) ومعناه (الذي يولد). وهو أول الخلق الذي ولدت من ضلعه (بوكريني = الحياة = حواء) والديانة الهندية أقدم من الديانة اليهوديةالتي سطت على كل تراث أحاط بها

---

(1) وذلك طبقا لـ (الأنيما) و(الأنيموس) في كل من الذكورة والأنوثة.

أو أطلعت عليه ووجدت فيه خدمة لمصالحها. كما رفض خطيئة آدم واعتبرها إهانة للإله واتهاماً له بالبربرية وذلك للتجرؤ على القول إن الله خلق الأجيال البشرية لتعذبيها إلى الأبد لأن أباهم الأول قد أكل التفاحة التي نهاه الله عن أكلها. وكأنه يقول: (الآباء يأكلون الحصرم... والأبناء يضرسون).

وتحدّث (دانتي) في هذا الخصوص في الجزء الثالث من كوميدياه الإلهية (الفرودس) ج/3/ قائلاً (إن آدم قد جلب اللعنة على نفسه وعلى البشرية كلها بارتكابه الخطئية وحده/10/.

2. **شخصية إبراهيم:** حاول (فولتير) أن يتعرف من خلال أكثر الديانات التنزيلية والوضعية على هذه الشخصية ومنشئها... وأسفارها وجل ما يتعلق بها. فرأى أن (إبراهيم) قد عرف باسم (برام وإبرام) وهما اسمان موجودان قديماً في الهند وفارس. وقد خرج منهما لفظ (براهما) عند الهنود. فرفض تدخل الروح القدس والعناية الإلهية بهذه الشخصية التاريخية، لا الدينية، والتي هي موضع تقديس في الأديان الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) فلا العرب ـ في رأيه ـ من نسل اسماعيل ولا اليهود من نسل يعقوب./11/

في الخلود بعد الموت: شغل الموت الإنسان منذ أن وجد وإذا قال جلجامش ـ قديماً ـ (الآلهة هم الخالدون في مرتع شمش أما البشرفأيامهم معدودات). فإنه أحس برهبة الموت بعد فقده لصديقه (أنكيدو) فقصد (اوتنا بشتيم) ليحصل على شجرة الخلود فلم يستطع فأدرك أن الخلود هو خلود المنجز الإنساني فأمر أن يصنعوا لـ (أنكيدو) تمثالاً يخلد ذكراه وبات هذا الأمر سنة حميدة لتكريم العظماء. أما (أبيقور) ـ من بعد ـ فقد تساءل في موضوع الموت قائلاً: (طالما أني لا أخاف الزمن الذي يسبق وجودي.. فلماذا أخاف الزمن الذي يلي موتي؟. إذا كنت موجوداً فالموت غير موجود وإذا كان الموت موجوداً فأنا غير موجود).

لكن فولتير تساءل في موضوع الخلود بعد الموت.. أسئلة من العمق والأهمية بمكان وجدير بأن نذكربعضها يقول: ما هي المادة الروحانية التي يعزى إليها الخلود؟ إن الشيء الذي يجعلنا أمام أنفسنا ليس إلا تذكر ما كنا عليه في الماضي:

(بعكس الحيوان الذي لا ماضي ولا مستقبل له لأنه أسير اللحظة التي يعيشها وكأنها الأبدية) يقول: نفسنا الروحانية.. ماذا نعني بذلك؟ أنعني أننا نبقى بعد الموت بكل ذكرياتنا!. وهل هذا ممكن بعد أن تفنى (مادة الدماغ) حين الموت؟. ثم هل يردّ الموت ذكريات الذين أضاعوها قبل الموت بسبب الهرم أو المرض أو الحوادث ؟[1].

فإذا كانت الروح خالدة دون أن نحتفظ بذكرياتها فما فائدة الخلود لنا ؟ لأننا حين نموت لا نعود نعرف أنفسنا ولا نعرف أحداً. وإذا تعذبنا فلن نعرف حينها أننا نتعذب عقاباً لأخطاء نكون قد نسيناها. وإذا كنا سعداء بعد الموت فلن نعرف أيضاً أن هذا ثواب لأعمالنا الصالحة التي لم نعد نذكرها. فما نفع هذا الافتراض إذاً؟. ويتابع قائلاً: من الحق القول: إنه ليس بالامكان نفي بقاء الوجدان الذي يمنحنا التفكير بعد الموت نفياً مطلقاً. والله يمكنه أن يحتفظ بهذا الجزء الضئيل من المادة التي تمنحه التفكير. ويردف قائلاً: إن الذين يعتقدون ذلك يجدون في اعتقادهم سلوى... ولكن عليهم أن يدركوا أن اعتقادهم إنما هو إيمان عاطفي لا علاقة له بالعقل.

الدين عند فولتير: لا فرق عند (فولتير) بين الدين التنزيلي كـ (اليهودية والمسيحية والإسلام) وبين الدين الوضعي كـ (البوذية والكونفوشيوسية)، وكلاهما ـ حسب رأيه ـ جزء من التاريخ الدنيوي وليسا جزءاً من التاريخ المقدس. وللإنسان الحق في أن يمارس الطقوس الدينية التي يراها ملائمة له وأن يسلك السبيل الذي يرتئيه للوصول إلى السماء لأن الدين مسألة شخصية، كما يرى (كيركفارد) من بعد. شريطة أن يحترم دين الآخرين. لأن الدين خلق من أجل الإنسان لا العكس. وحين يصبح الدين وسيلة للاختلافات التي تورث الأحقاد والاضطهادات فإنه يصبح مصيبة عمياء. لذا فقد حقد (فولتير) على كل عقيدة لا تعرف التسامح، معتبراً أن التسامح قوام الإنسانية وأن الذين يدعون إلى التعصب إنما يدعون إلى الاضطهاد. لأن التعصب أخطر من الإلحاد. وإذا كان التعصب يؤدي إلى الجنون فإن الإلحاد يؤدي

---

(1) ويذكرنا ذلك بنهر (اينووي) في (الكوميديا الإلهية) لـ(دانتي) ذلك النهر الذي يذكر الإنسان بأفعال الخير حيث يشرب منه لأن ماءه يفوق كل مذاق.

إلى التنوير (المتعصبون جهلة والملحدون علماء). ونتيجة لموقفه هذا وغيره من المواقف فإننا نرى أنفسنا أمام **رأيين متناقضين يُوصَفُ بهما فولتير:**

الرأي الأول: هناك من عده رسولاً للتسامح الديني.

الرأي الثاني: هناك من اتهمه بالكفر والزندقة /12/ وأنه أثار عليه أيضاً الحركة (الرومانسية) أمثال (شاتوبريان / ولامارتين / والفريد دي موسيه) وعدّوه مثالاً للتهجم على الأديان والهادم لها/13/.

كما أكد فوليتر أنه لا سيادة لشعب ينتمي إلى دين ما على شعب ينتمي إلى دين آخر، وبالتالي فليس هناك شعب مختار. لأن التمايز في فلسفته تظهر في الأفراد لا في الشعب، لأن الشعب كلمة قطعية تحوي ما هبّ ودب. ورأى أن هناك ثلاثة أمور تؤثر في فكر البشر. (المناخ. نظام الحكم. الدين) وقد أوضح ذلك في مسرحية (زائير): وزائير فتاة مسيحية أسرها المسلمون في صباها أثناء الحروب الصليبية وربوها على العقيدة الإسلامية وصارت واحدة من حريم السلطان حيث أوضح على لسانها تأثير الجغرافيا في العقيدة الدينية وتأثير العادات والتقاليد حيث قالت (زائير): ((إن أفكارنا وعاداتنا وعقيدتنا الدينية، إنما تشكلها الأعراف والتقاليد. فلو ولدت على ضفاف نهر (الكنج) لعبدت أوثان الهند، ولو ولدت في (باريس) لكنت مسيحية))/14/. ومن أهم ما قاله بشأن الدين (إننا نريد ديناً بسيطاً جليلاً أليق بالله وأقرب إلينا. وبكلمة موجزة نريد ديناً يخدم الله والبشر).

الله من منظور فولتير: موجود لا إله إلا هو، أبدي سرمدي. لا يعتمد إلا على ذاته، مطلق الحرية.. مهندس أوحد للكون، وَزَنَ كل شيء وقاسه، وقد دهش من قول (باسكال): ((إنه ليس بالامكان أن نثبت وجود الله بالعقل)) وأجاب ((إذا كان القس يعلم الأولاد (روتينياً) بأن الله موجود. فإن (نيوتن) يثبت وجوده لذوي الألباب)). ويضيف قائلاً: إن العقل بإمكانه إثبات وجود الله. ثم يقول: (وبما أني موجود استنتج أن ثمت موجوداً منذ الأزل، وإذا لم يكن ثمت شيء موجود منذ الأزل، فإن كل شيء ناتج عن العدم وليس لوجودنا سبباً مطلقاً، وهذا تناقض لا يقبله العقل. إن لكل شيء سبباً.. وهذا السبب له مسبب أيضاً وهكذا دواليك. وإذا

لم يوجد سبب أول.. لم نستطع أن نفسر شيئاً. (أنا مضطر أن اعترف بوجود كائن واجب الوجود منذ الأزل هو أصل الكائنات كلها). إن الإلحاد جنون. وإذا كان في الإقرار بوجود الله صعوبات فإن العكس إحالات. ويضرب لنا مثالين فيقول: (إذا وضعنا كل الأحرف التي تتألف منها الإلياذة في كيس، ثم أفرغنا الكيس، هل تخرج منه إلياذة كاملة بكل حوادثها وأشعارها؟؟.. فإذا كانت مثل هذه الظاهرة بعيدة الاحتمال أفليس أبعد منها احتمال أن يكون العالم الذي نعيش فيه وما فيه من المخلوقات وليدة المصادفات البحتة)؟؟!.

وفي المثال الثاني يقول: (أنا لم آت إلى هذه الدنيا من لا شيء لأن مادة أبي وأمي التي حملتني تسعة أشهر شيء موجود.. ومن البيّن لي أن(النطفة) التي أنجبتني لا يمكن أن تكون قد خُلِقت من لاشيء. أنا مؤمن بالحكمة القديمة (لا شيء يأتي من العدم ـ ولا شيء يمكن أن يعود إلى العدم). إلا أنه استنكر كل الاستنكار صورة الإله التي يقدمها اللاهوت المسيحي فقال: (أي نوع من الآلهة يقدمه لنا اللاهوت المسيحي؟ إنه يقدمه لنا على أنه طاغية ينبغي أن نكرهه. أعطانا قلوباً آثمة ليكون له حق عقابنا. جعلنا نحب اللذة لكي يعذبنا بآلام رهيبة أبدية. وما أن خلقنا حتى فكر في إهلاكنا فأمر الماء أن تغرق الأرض. إننا مازلنا ملوثين بجريمة آدم وحواء ولست أتبين في هذه الصورة المخزية للإله الذي علي أن أعبده. ثم يقف عند صفات الله قائلا: (أما ما هي صفاته وما طبيعته وما علاقته بالفراغ والزمن.. وهل يجب أن نضفي عليه اللامتناهي الذي لا يحيط به عقلنا المتناهي؟ وهل يجب أن نعتقد أنه في قدرته القادرة كان يمكن أن يجعل 2+2=5 فيجيب فولتير (أُفَضِّل أن أقف هنا على أن أتوه). إن وجود الله ثابت لدي. تلك هي الحكمة الوحيدة.. ما أعرفه.. هو أن الله يعاقب ويثيب.. (ولو لم يكن الله موجوداً.. إذا لوجب اختراعه) ثم يقول: (اعبد الله على طريقتك وكن رجلاً صالحاً).

موقفه من العهد القديم ـ التوراة: رفض (فولتير) أن تكون التوراة التي بين يديه هي من عند الله لأن كل ما فيها هو أساطير شعبية وأبطالها أنصاف آلهة كأبطال اليونان. **وأقف عند أهم ما قاله بهذا الشان:**

1. ليس موسى هو كاتب الأسفار الخمسة بل إن (عزرا) هو الذي أعطاها الصيغة الأخيرة والكنيسة نفسها لم تعترف بأن موسى هو الذي كتبها. ثم كيف يمكن الاعتقاد بأن موسى كان لديه ما يكتب في الصحراء حيث لا يوجد أشجار ينقش عليها؟ زد على ذلك أن كاتب أسفار موسى يقول: ((إنه يكتب من وراء الأردن في حين أن موسى لم يدخل أرض الميعاد وانما دخلها (يشوع بن نون). ثم كيف يمكن لموسى أن يكتب قصة موته..بل عن أشياء حدثت بعد موته كما تقول التوراة (لم يأت بعد موسى نبي يضاهيه عظمة)!!!.

2. تشابه حوادثها مع ما سبقها: لقد وجد (فولتير) أن أساطير أسفار التكوين شبيهة بالأساطير الشرقية القديمة. تقول التوراة: (في البداية خلق الله السماء والأرض) وذلك موجود عند الفينيقيين وتعلمها منهم العبرانيون. ثم إن مؤلف سفر الجامعة هو فيلسوف (أبيقوري) مادي حسي بحت لا علاقة له بالروحانيات.

3. كيف يمكن التوفيق بين المتناقضات؟ أو الإقرار بالخرافات التي تعد معجزات؟..حيث أعلمتنا التوراة أن اليهود عبروا البحر الأحمر والأردن من غير أن تبتل بالماء أقدامهم.. ثم كيف يمكن لـ (يوشع) أن يوقف الشمس. وكيف السبيل إلى الإيمان بالمعجزات التي أسقطت أسوار أريحا) بنفخ صور وجعلت (شمسون) يكسر جيشا بحاله بفك حمار...الخ.

موقفه من المسيح والمسيحية والإنجيل: كان لـ (فولتير) في هذا الموضوع حديث مطول ومفصل أوجزه ـ في نهاية حديثي ـ بأقل من صفحة:

أ- فيما يتعلق بالسيد المسيح:

1ـ رأى (فولتير) أن لفظة المسيح موجودة في العهد القديم ونعت بها المسيحيون وغير المسيحين على حد سواء.

2ـ صحيح أن (يوحنا المعدان) قد عمد السيد المسيح إلا أن السيد المسيح لم يُعَمِّد أحداً مشيراً إلى أن (العمادة) عادة قديمة معلناً رفضه لها ورفض الرهبنة أيضاً لأن الرهبنة مرت مجرد ذكر في إنجيل (متى)، ولم تشاركه في ذلك الأناجيل

الأخرى. كما أكد أن (الخصي) أكبر إساءة للبشرية[لخ].

3ـ شك في (بتولة العذراء) إذ كيف تسمى مريم العذراء وقد جاءت بالسيد المسيح وكان له إخوة أيضاً. (انظر إنجيل متى)

ب ـ أما فيما يتعلق بالمسيحية:

1ـ فلقد عدّ أن لفظة (المسيحية) متأخرة عن السيد المسيح.ولم تظهر إلا في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني (ب/م) وهي لفظة تاريخية تدل على فرقة وليس على دين إذْ كان المسيحيون يُسَمَّوْنَ خليليين أو ناصريين.

2ـ الصيام الذي هو (دواء للفقراء لا يتعاطاه الأغنياء) عده (فولتير) دواء للمتخمين أو نتيجة لانعدام الشهية. وقد أخذه اليهود ـ ومن ثم المسيحية ـ من عادات المصريين القدماء. وأردف قائلاً: أن الله ليس بحاجة إلى صيامنا وقرابيننا. وخاطب الأغنياء قائلاً: (أيها الأغنياء من تدعون إلى الصيام؟ أتدعون الأغنياء؟.. إنهم لا يصومون.. أتدعون الفقراء ـ أنهم صائمون الدهر كله).

3ـ استنكر على المسيحي استسلامه إلى كتابين يعتقد أنهما مقدسان (أي التوراة والإنجيل) وتساءل هل لهذا الإيمان مسوغ؟. يجيب بـ/ لا /. إذ كيف يمكن الاعتقاد بأن ما يقصهما الكتابان هو من وحي إلهي؟.. وإذا كان الله هو الذي أملى (التوراة والإنجيل) حق لنا أن نعجب لأن الله ـ حسب رأى فولتير ـ ذو أفكار خاطئة جدا في علم الفلك كما أنه يجهل تاريخ الحوادث والجغرافيا جهلاً تاماً. ولقد ناقض نفسه بنفسه فيما يخص الأخلاق، فهل يفرض الرب في التوراة مبدأ (العين بالعين والسن بالسن) ثم يطالب في الإنجيل بأن نمد خدنا الأيمن لمن يصفعنا على خدنا الأيسر؟ وأن نعطي رداءنا لمن سرق ثوبنا؟. فهل تتفق هذه القوانين وأوامر التوراة[بر].

---

(1) لأن أبيقور يرى أن الموت يقهرنا دائماً على الصعيد الفردي. ولكننا نقهره على صعيد النوع من خلال الإنجاب. وعندما يتم الخصي يتوقف الإنجاب. ويصبح الموت هو السيد الأوحد.

(2) حتى أن فولتير قد شك بعقيدة التثليث برمتها ورفض الأساطير المسيحية فقال: (لا يجب الاعتقاد بالأساطير المسيحية وعقائدها لأن الدين المسيحي مشبع بالسخافات والكذب ولايمكن أن يدافع عن نفسه): ثم يقول: رب قائل يقول: إني أكرر وأعيد وجوابي أني سأكرر وأعيد حتى

أما فيما يتعلق بالإنجيل:

فقد اعتقد أن عقيدة التثليث عصية على الفهم وطالب بجر الإنجيل إلى المناظرات الفلسفية. وأن الأناجيل لم تُكْتَبْ إلا بعد المسيح بمئة عام. ناهيك عن أنها لا تتفق فيما بينها لا على نسب المسيح ولا على طفولته ولا على معجزاته ولا على أقواله.

ثم لماذا تبنت الكنيسة الأناجيل الأربعة فقط.. واعتبرت الأناجيل الباقية مزيفة في حين أن هناك حوالي خمسين إنجيلاً غيرهم(لخ)؟ إلا أنه رأى في الإنجيل قيمة كبرى ألا وهي الأخلاق الفاضلة التي بشر بها وحث عليها ونادى بممارستها قولاً وعملاً.

تصلح الأمور).

وكما استنكر عدم المساواة بين الكهنة كما يريد السيد المسيح. بينما تقوم الكنيسة على نظام الدرجات حيث أن الرؤساء يتمتعون بالسلطة المطلقة بينما صغار الكنسية يحيون حياة بائسة. وأتهم الكنيسة أيضا بأنها أعطت لنفسها الحق للتحدث باسم المسيح والمبادىء التي تفرضها على متبعيها التي تختلف عن المبادىء في الإنجيل.

فالمسيح لم يقل (لقد جئت وأموت لكي اجتث الخطئية الأصلية. إن أمي عذراء. لست أباً ولكنني والأب واحد، فهو أنا ولكنني لست هو.كل الكون هالك أبداً وأمي معه. ولكن أمي هي أم الله. آمركم أن تصنعوا بواسطة كلمات قطعة خبز صغيرة، جسمي كله شعري. ذقني. بولي. دمي. وأن تضعوا في الوقت ذاته دمي في كأس نبيذ... كل هذه الأشياء من وضع الكنسية.

(1) وقد ذكر أسماء بعض منهم مثل (أنجيل مريم / أنجيل يعقوب/أنجيل المصريين/أنجيل العبرانيين/ أنجيل برنابا/أنجيل نيقوميدوس). ولأنه كان شاكاً فقد قال: (وأي رأي تقدمه في بعث الموتى والارتفاع إلى السماء وفي الحبل بلا دنس.. وفي بتولة العذراء حتى بعد أن ولدت يسوع وكان له أخوة.. فأي احتمال عقلي في هذه القصص كلها وفي كثير غيرها.

خاتمة

لا جرم أن (فولتير) قد غالى في نقده للأديان وبالغ حتى حدود الشطط وكان حاقداً على المسيحية بعامة وعلى الكاثوليك بخاصة/12/. وما أستغربه منه هو حثه على الكذب صحيح أن (أفلاطون) في (جمهوريته الفاضلة) سمح للحاكم فقط أن يكذب كذباً أبيض إذا كان هذا الكذب يخدم مصلحة الدولة والرعية، إلا أن (فولتير) قد أجاز الكذب الأبيض وغير الأبيض للناس جميعاً معتبراً أن الكذب فضيلة لا رذيلة يقول: (إن الكذب ليس ذنباً إلا حين يضر بشخص ما.. أما حين يخدم الإنسانية فإنه أكبر الفضائل طراً)/15/. **السؤال:** كيف يمكن أن يكون الكذب خادماً للإنسان والإنسانية ؟ وأن يكون أفضل الفضائل؟ إنه ـ في موضوع الكذب ـ قد خالف كل عرف وتعريف وسائر العادات والعبادات في كل زمان ومكان.

ما يسجل له: أنه لم يكن يكتفي بمهاجمة ما يراه من أفكار خاطئة بل إنه كان يبني من جديد مكان ما هدم.. ـ رفض الربط دائماً بين العلة والمعلول بمعنى إذا كان لكل طفل أب فليس بالضرورة أن يكون لكل أب طفل وإذا أعطى ضوء الشمس نوراً فليس بالضرورة أن يكون كل نور نابعاً من الشمس.

لقد وضع (فولتير) أسس النقد التاريخي الحديث للكتب المقدسة وأرهص لنشوء علم الأديان المقارن، كما أنه أول من استخدم مصطلح فلسفة التاريخ ومن أوائل الذين ساهموا في بناء صرح فلسفة التنوير.

جماعة القول

قد لا يكون ما نقلناه وقدمناه الأن أمراً عجيباً وغريباً.. لكن علينا أن لا ننسى أن ما قلناه قد قيل في عصر كانت فيه الكنيسة ظل الله على الأرض.. وهي وحدها التي كانت تمنح صكوك الغفران نيابة عن الله وهي وحدها التي كانت تأمر وتنهي.. وتفرض وترفض..و تصل وتقطع.. وتفرق وتجمع.. وترفع وتضع.. وتمنح وتمنع.. ولا نكون مغالين إذا قلنا: إنها كانت تسعى جاهدة لكي تحي وتميت.

المصادر والمراجع

1ـ شوبنهاورـ كامل محمد محمد عويضة. دار الكتب العلمية. لبنان ط/1/ 1993/ ص /85/.

2 ـ فولتير. اندريه كريسون. منشورات عويدات. لبنان ط/1/1961/ ص/89/.

3 ـ ص/188/ ط/2/. دار المعارف بمصر.

4 ـ بلانتاجيت سومرسيت فراي. ط1/1988/ ص/227/.

5 ـ في الفكر الغربي. د.حسن حنفي. ج/2 ص دار التنوير للطباعة والنشر ط/1/1982/ ص/91/.

6 ـ الفكر الاغريقي. محمد الخطيب. دار علاء الدين / دمشق /ط/ 1/1999 /ص/91/.

7 ـ فولتير. اندريه كريسون ص/88/.

8 ـ المصدر نفسه ص/85/.

9 ـ في الفكر الغربي. د. حسن حنفي. دار التنوير ط /1/ 1982/ ص/93/.

10 ـ الكوميديا الإلهية. دانتي. ترجمة حسن عثمان. دار المعارف بمصر ص /157/.

11 ـ في الفكر الغربي. د. حسن حنفي ص/93/.

12 ـ فولتير. اندريه كريسون ص/47/.

13ـ المصدر نفسة ص/92/.

14ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. دار الجبل. بيروت ج35+ 36 ص/180/.

15ـ فولتير. اندريه كريسون. ص/46/.

obeikandl.com